تمثلات الهوية الثقافية في الدراما التلفزيونية الجزائرية: – مسلسل "فاطمة" لِجعفر قاسم أنموذجا –

Representations of Cultural Identity in Algerian Television Drama
The Series *Fatma* by Djaffar Gacem as a Case Study

زوراغي جميلة[1]*، جامعة زيان عاشور الجلفة،
djamila.zouraghi@univ-djelfa.dz
مختبر أرشفة المسرح الجزائري

عزوز بنعمر[2]، جامعة وهران1، أحمد بن بلة
azzouzbendz@yahoo.fr
مختبر أرشفة المسرح الجزائري

تاريخ الاستلام: 2026/03/25 تاريخ القبول: 2026/06/28 تاريخ النشر: 2026/07/23

ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى استقصاء تمثلات الهوية الثقافية في الدراما التلفزيونية الجزائرية، متخذة من مسلسل "فاطمة" للمخرج جعفر قاسم أنموذجاً تحليلياً، بوصفه تجربة سمعية–بصرية متميزة تعكس خصوصية الواقع المحلي. ولتحقيق هذا المسعى، انتهجت الدراسة مقاربة سيميائية وسوسيو–ثقافية تهدف إلى رصد آليات بناء الهوية داخل النص الدرامي، وتفكيك دلالاتها في المشاهد الفنية من خلال سيمياء الأزياء، والحلي، والإكسسوارات، وتمثلات الفضاء المكاني الذي احتضن الأحداث. كما يمتد التحليل ليشمل أنماط الخطاب والتمثلات الخاصة بالقيم الاجتماعية والأسرية، وصورة المرأة الجزائرية، مع التركيز على كيفية توظيف هذه العناصر في استحضار الذاكرة الجمعية والرموز الثقافية لتشكيل ملامح الشخصية الوطنية. وتخلص الدراسة في منتهاها إلى أن العمل الدرامي الجزائري بات يسهم بشكل مباشر وفعّال في هندسة الهوية الثقافية، ويؤكد قدرته على الصمود أمام تضارب المرجعيات القيمية والتحولات المتسارعة التي تفرضها سيرورة التحديث في المجتمعات المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: الهوية الثقافية، الدراما التلفزيونية الجزائرية، مسلسل فاطمة، جعفر قاسم، السيميائيات، التمثلات الرمزية، الذاكرة الجمعية، سوسيولوجيا الثقافة.

Abstract :

This study explores the representations of cultural identity within Algerian television drama, utilizing the series Fatma, directed by Djaffar Gacem, as an analytical model. As a distinctive audiovisual experience, the work serves as a reflection of local specificities and socio-historical realities. To achieve this objective, the study employs a semiotic and socio-cultural approach aimed at monitoring the mechanisms of identity construction within the dramatic text. It deconstructs the underlying significations in artistic scenes by analyzing the semiotics of costumes, jewelry, and accessories, alongside the spatial representations that frame the narrative.

The analysis further extends to encompass discursive patterns, the representation of social and familial values, and the portrayal of the Algerian woman, emphasizing how these elements are mobilized to evoke collective memory and cultural symbols in shaping national character. Ultimately, the study concludes that Algerian drama has become a direct and effective agent in the engineering of cultural identity, asserting its resilience amidst conflicting value systems and the rapid transformations imposed by the processes of modernization in contemporary societies.

* المؤلف المرسل: زوراغي جميلة الإيمايل: djamila.zouraghi@univ-djelfa.dz

مقدمـة:

تتجلى إشكالية **الهوية الثقافية** كواحدة من أكثر القضايا محوريةً في الخطاب الإعلامي المعاصر، لاسيما ضمن سياق الدراما التلفزيونية التي تجاوزت وظيفتها الجمالية لتغدو آلية أنطولوجية فاعلة في هندسة الأطر المرجعية للمجتمعات. فهي لا تكتفي بتمثيل الواقع، بل تعمل على صياغة أنماط خطابية تُسهم في إعادة إنتاج القيم الاجتماعية والأسرية، وتكريس الشعور بالانتماء من خلال استحضار المتخيل الجمعي والرموز المشتركة التي تُشكل في مجموعها الوعي بالذات الوطنية وتمثلاتها الذهنية.

وفي هذا الإطار، تُصنف الدراما التلفزيونية كأحد أهم الوسائط الثقافية قدرةً على التأثير الجماهيري الواسع، مما يمنحها دوراً رياديا في سيرورة "البناء الرمزي" للمجتمع. فهي لا تنقل الواقع بصورة ميكانيكية، بل تُعيد تشكيله عبر سرديات ثقافية وتاريخية تبرز النسق القيمي والمرجعيات التي يستند إليها الوجدان الجمعي؛ وبناءً عليه، فإن استناد الدراما إلى مفردات الهوية ليس ترفاً فنياً أو استهلاكاً جمالياً، بقدر ما هو استراتيجية واعية تهدف إلى تحصين الوحدة الوطنية وترسيخ قيم المواطنة في مواجهة تحديات العولمة المعاصرة وتحولاتها.

وبإسقاط هذه المقاربة على الدراما الجزائرية، نجد أن معالجة سؤال الهوية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتمثلات الذاكرة الجماعية، وهو ما يتجسد بوضوح في الأعمال السينمائية والدرامية ذات البعد الثوري (مثل: دورية نحو الشرق، معركة الجزائر، أبناء نوفمبر، الحريق، دار سبيطار...) وتمثل هذه الأعمال مؤشرات سيميائية ودلالية عميقة على الهوية الثقافية الجزائرية، حيث استثمرت في استحضار الذاكرة التاريخية –ولاسيما الحقبة الاستعمارية– لإعادة صياغة الهوية الوطنية وبنائها وفق رؤية تدمج بين التحرر التاريخي والاستمرارية الثقافية.

ولم تقتصر الدراما الجزائرية على إعادة الأحداث التاريخية فقط، بل ساهمت –إلى حد كبير– في إعادة تأويلها ضمن خطابات تعكس القيم الثقافية والروح الوطنية، وتعزّز الإحساس بالانتماء والخصوصية الحضارية.

علاوة على البعد التاريخي، انفتحت الدراما الجزائرية على رصد التحولات السوسيولوجية المعاصرة، من خلال معالجة قضايا اجتماعية مركبة (كالأسرة، الميراث، الفقر، صراع الأجيال، وظاهرة الهجرة وغيرها)، فضلاً عن ملامسة تأثير المتغيرات السياسية والاقتصادية على بنية الحياة اليومية. كما امتدت هذه المعالجة لتشمل المكونات الثقافية واللغوية، عبر إبراز التنوع اللغوي والحمولات الرمزية للعادات والتقاليد، مما جعل من العمل الدرامي فضاءً لتعميق الوعي بالخصوصية الثقافية.

وعليه، برزت الدراما التلفزيونية في السنوات الأخيرة كمتنفس ثقافي يعكس ديناميكية المجتمع، حيث سعى المخرج "جعفر قاسم" في عمله الدرامي" فاطمة "إلى تكريس عناصر الهوية الثقافية وإعادة بنائها، في محاولة لتقديم إجابات فنية للمتلقي الذي يواجه اغتراباً أو صراعات ثقافية جراء التحولات الراهنة. ويُعد هذا

المسلسل أنموذجاً تطبيقياً مناسبا لكيفية توظيف مكونات الهوية (اللغة، العمارة، الزي، الرموز الثقافية...) وإعادة إنتاجها بصرياً.

وبناء على هذه المعطيات، تتبلور إشكالية الدراسة في التساؤلات التالية:

- إلى أي مدى وفقت الدراما الجزائرية في استثمار مقومات الهوية الثقافية من خلال "مسلسل فاطمة"؟
- ما هي طبيعة تمثلات الهوية الثقافية المتضمنة في هذا العمل الدرامي؟
- وإلى أي مدى وُفِّق هذا العمل الدرامي في توثيق تلك التمثلات وتدوينها والمحافظة عليها؟

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الورقة البحثية إلى تحقيق جملة من الأهداف، أبرزها:

1. رصد تمثلات الهوية الثقافية التي يعكسها "مسلسل فاطمة" للمخرج جعفر قاسم.
2. تحليل النسق القيمي (الاجتماعي والثقافي) الذي يطرحه المسلسل نموذجاً للدراما الجزائرية الحديثة.
3. الكشف عن آليات تجسيد مكونات الهوية عبر العناصر الدرامية (الشخصيات، الأحداث، الفضاء...).
4. تبيان الدور المحوري للدراما في صون الهوية الثقافية وترسيخها لدى المتلقي.

المنهجية المتبعة:

تعتمد الدراسة **المنهج الوصفي التحليلي**، نظراً لملاءمته طَبِيعَةَ الموضوعِ الهادفِ إلى تفكيك تمثلات الهوية. ويقوم هذا المنهج على توصيف الأحداث الدرامية وتحليل مضامينها لاستخراج القيم الخفية التي تتضمنها العناصر الفنية. كما تم استخدام أداة **تحليل المضمون** كإجراء تطبيقي لرصد وتصنيف القيم والعادات والرموز الثقافية التي تضمنتها عينة الدراسة المتمثلة في مسلسل "فاطمة."

.1الإطار المفاهيمي للدراسة

1.1الهوية الثقافية:

يعد مفهوم الهوية مدخلاً سوسيولوجياً وأنثروبولوجياً لفهم كينونة الفرد وعلاقته بالآخر ضمن حيز مكاني وقيمي مشترك. فهي ترتبط عضوياً بالمجتمع من خلال محددات العرق، الدين، اللغة، والتاريخ المشترك. ومن هذا المنظور، يُعرفها **تركي الحمد** بأنها: "جملة *العناصر المادية والاجتماعية والذاتية المصطفاة التي تسمح* بتعريف خاص للفاعل الاجتماعي." (الحمد، 1999 ص18)

كما تمثل الهوية حجر الزاوية في تماسك المجتمعات، إذ تجسد طموحاتها وتبرز معالم تطورها، وتنطوي على المبادئ والقيم التي توجه الفعل الإنساني نحو غايات حضارية محددة، مما يساهم في إثبات الوجود التاريخي للأمة (بولعباس2017 ص29). وبمعنى أدق، فإن الهوية هي التعبير الجوهري عن الخصوصية

الثقافية؛ ذلك أنها "مشتقة من "هو"، وهي جوهر الشيء وحقيقته الثابتة التي تتجدد ولا تتغير، كالبصمة التي تميز الذات عن غيرها مهما اعتراها من عوامل الطمس."(محمد عمارة 1999ص6)

أما **محمد عابد الجابري** فيرى أن الهوية هي ذلك *"المركب المتجانس من الذكريات والتصورات والقيم* والرموز والتعبيرات والإبداعات والتطلعات التي تحتفظ لجماعة بشرية وتشكل أمة "(الجابري 1999ص 14). ومن هنا نرى أن الهوية الثقافية في مفهومها الإيجابي تسعى إلى تحقيق توازن بنيوي بين مكوناتها المختلفة لضمان استمرارية الذات الحضارية.

1.2الدراما التلفزيونية:

تُعرف الدراما على أنها لغة فنية تقوم على المحاكاة والأداء التمثيلي، وقد ارتبطت نشأتها بالميل الغريزي للإنسان نحو التعبير عن معتقداته وهواجسه من خلال الحوار المتخيل (حمودة، 1998، ص 16). وعلى الرغم من تعدد قوالبها (مسرحية، إذاعية، تلفزيونية...)، إلا أنها تلتقي عند هدف جوهري يتمثل في نقل التجربة الإنسانية ومعالجة القضايا المجتمعية برؤية إبداعية تتجاوز حدود الواقع لتسمو به إلى مراتب الإبداع الخالدة.

ومع بروز التلفزيون على الساحة الإعلامية بوصفه وسيلة اتصال جماهيرية مهيمنة، اكتسبت الدراما التلفزيونية قدرة فائقة على التأثير نظراً لدمجها بين الصوت والصورة بمختلف التقنيات والوسائط، مما يعزز استجابة المتلقي للرسالة الإعلامية. ويؤكد طارق سيد أحمد الخليفي أن الدراما هي العماد الرئيسي للتسلية والارتباط بالشاشة، وهي في جوهرها قصة ذات بناء وهيكل وخط درامي متماسك." (الخليفي 2005 ص 270).

وتتجاوز الدراما التلفزيونية كونها أداة للترفيه لتصبح آلية تواصلية فعالة تسهم في *"تثمين الروابط والنظم والقوانين التي تحكم بنية الأفراد والمجتمعات من عادات وتقاليد وموروث ثقافي "* (جمال الدين 2015 ص 15). فهي تلعب دوراً حيوياً في عملية التنشئة الاجتماعية وإعادة إنتاج الهوية الثقافية من خلال مواءمة المحتوى الدرامي مع ذائقة المشاهد ومرجعياته القيمية.

3.التعريف الإجرائي للدراما التلفزيونية:

في سياق هذه الدراسة، تُعرَّف الدراما التلفزيونية إجرائياً بأنها نمط فني بصري وسردي، يُنتج خصيصاً ليُبث عبر القنوات التلفزيونية أو المنصات الرقمية التفاعلية، مُعتمداً على نظام لغوي/سمعي–بصري وسيميائي مركب. وتتأسس هذه الدراما على سردية حكائية متسلسلة، تتبلور عبر بناء شخصيات درامية تعيش صراعات متباينة ضمن حلقات متعاقبة، حيث يتم توظيف التقنيات الجمالية (كالتصوير، الموسيقى التصويرية، الإضاءة، والمونتاج) ليس فقط كعناصر تزيينية، بل كأدوات "ترميزية" تهدف إلى إيصال مضامين اجتماعية وتاريخية ونفسية عميقة، والتأثير في الوجدان الجمعي للمتلقي.

وتتنوع هذه الأشكال الدرامية بين المسلسل الطويل والتمثيلية والفيلم التلفزيوني، وهي قوالب فنية تحمل في طياتها مادة دسمة، مستقاة من التراث والواقع المعيش (ربوط وعلوش، 2025، ص 207). وبما أن الدراما التلفزيونية هي "النوع الفني الأكثر استهلاكاً"، فإنها تعمل كقوة ناعمة تُسهم في صياغة الرأي العام وإعادة إنتاج القيم المرجعية للمجتمعات (شوقي، 2012، ص 45)، ومن ثم فإن تعريفها يتجاوز دورها التقني ليتحول إلى وظيفة "ثقافية تنويرية" تستهدف ربط الأجيال بجذورها التاريخية وتمثلاتها المعاصرة.

ملامح الهوية الثقافية في الدراما التلفزيونية " فاطمة":



1 .1 البطاقة التقنية للمسلسل:

_ العنوان: **مسلسل فاطمة FATMA**

_ الإخراج: جعفر قاسم.

_ مساعد المخرج الأول: سالم دلدول.

_ مساعد المخرج الثاني: حمزة سليماني.

_ سكريبت: مقراد نائلة_ ريم معيز.

_ الإنتاج: خالد باباسي.

_ بلد الإنتاج: الجزائر.

_ بطولة: ريتاج عبد الله بدور فاطمة.

_ عدد الحلقات: 23 حلقة، عرض في (مارس) شهر رمضان2026 على قناة **Samira tv**.

_ سيناريو: صالح شيحاني، جعفر قاسم، ميرة قاسم.

_ تأليف: فازي بوعوني، ميرة قاسم باباسي.

_ مدير التصوير: أحمد تلانتقيت.

_ تصميم الجنريك: فتحي بن عجايمية.

_ مصمم الديكور: فريال قاسمي إسياخم.

_ مهندس الصوت: كيلية الهاشمي خليل.

_ مسؤول الإضاءة: موساوي سالم.

_ تركيب: العمري آيت عباس، لعليلاش سمير. بمساعدة حسان باباسي.

_ موسيقى: يونس قيمات.

_ حوار: صالح شيحاني، محمد شرشال، بمساعدة جعفر قاسم.

_ المديرة الفنية: مريم مفتاحي.

_ ميكساج: أنيس آيت قاسي.

ملخص العمل الدرامي: مسلسل "فاطمة"

يُصنف مسلسل "فاطمة" ضمن المتخيل الدرامي التاريخي الذي يسعى إلى رصد القيم الجوهرية المشكلة للهوية الثقافية الجزائرية واستنطاقها خلال منتصف القرن التاسع عشر. فمن خلال رؤية إخراجية اشتغلت على استعادة الفضاء المكاني لحي "القصبة" العتيق، نجح جعفر قاسم في تقديم نص بصري ينبض بالحياة تحت وطأة التحولات التي فرضها الاستعمار الفرنسي في بداياته.

يرتكز العمل على تسليط الضوء على "التراث الشعبي" بوصفه آلية للمقاومة الثقافية، مبرزاً تنوُّع مقوِّماته المادية والمعنوية، بدءاً من الأزياء (الرجالية والنسائية) والطقوس الاحتفالية (الزواج)، وصولاً إلى العادات الغذائية، والموسيقى، والحرف اليدوية، والعمارة التقليدية، والأواني النحاسية؛ وهي عناصر شيدت في مجموعها ديكوراً أنثروبولوجياً يعيد بناء الذاكرة الجماعية للمجتمع الجزائري.

وفي قلب هذه المشهدية التاريخية، تتمحور الحبكة حول شخصية "فاطمة"؛ تلك الفتاة التي تجسد صراعاً مزدوجاً بين إثبات الذات وتحقيق الطموح الفني والموهبة في ظل سياق اجتماعي محافظ، وبين واجب الانخراط في حركة المقاومة الوطنية التي بدأت تتبلور ملامحها للعلن.

لقد استطاع المسلسل أن يمزج ببراعة بين الأبعاد الوجدانية (الحب والفن) وبين البعد التاريخي النضالي، مقدماً "البيت الجزائري" ليس كفضاء خاص للحياة فحسب، بل كحاضنة أولى للفكر الثوري ومنطلقاً لفعل المقاومة قبل أن يتجسّد ميدانيا. وبذلك، يتحول العمل من مجرد سرد تاريخي إلى مقاربة فنية تبحث في جدلية الهوية والمقاومة وإثبات الذات.

ملامح الهوية الثقافية في مسلسل " فاطمة ":



تُعرّف الهوية الثقافية الجزائرية "على أنها تفرد الشخصية الجزائرية: كأفراد ومجتمع بمجموعة من الصفات والخصائص النظرية والعملية التي تميزها جزئيا أو كليا عن باقي الهويات الأخرى في ميادين متنوعة والتي تتضمن الدين والثقافة واللغة والقيم الأخلاقية. التي اصطبغت بصبغة الإسلام والعروبة منذ أزمنة بعيدة" **(نور الهدى عبادة, 2019, ص 36)**

إن الحديث عن الهوية في مسلسل فاطمة لا يقتصر عن **الجانب الثقافي** فقط، كاللباس التقليدي والحلي والغناء الشعبي والعناصر المعمارية أو الحرف التقليدية، بل يمتد كثيرا ليشمل أبعادا متعددة منها **بعد المقاومة** الذي يعكس روح الانتماء للوطن، وهذا ما يجسده مسلسل فاطمة من خلال الانتفاضة المنظمة للشباب، وبقيادة إمام الجامع التي عبرت عن وعي المجتمع الجزائري ورغبته في الحفاظ على دينه وهويته وثقافته وقيمه، في مواجهة المستعمر الفرنسي.

ولأن دراستنا هذه ترتكز أساسا على **البعد الثقافي** للهوية الجزائرية، سنسلط الضوء على العناصر الثقافية التالية:

1-الأزياء والحلي:

سيميولوجيا الزي وتجليات الهوية البصرية

مسلسل "فاطمة" وثيقةٌ بصريةٌ نجحتْ في إنصاف الموروث الجزائري بجمالية تنم عن بحث تاريخي فني وأنثروبولوجي معمق، ذلك أن الأزياء فيه لم تكن مجرد قطع قماشية همُّها التأثيث المشهدي فحسب، بل تحولت إلى "لوحات سيميائية" متميزة، تستنطق عمق الهوية الوطنية وأصالتها. وقد تجلى ذلك في عناية الفريق الفني بالتفاصيل الدقيقة التي تعكس البنية الاجتماعية والثقافية لحي "القصبة" في القرن التاسع عشر، بلمسات عصرية لم تُخِل بالانتماء إلى تاريخها وجغرافيتها الأصلية، ودعمت أسس التلقي التي اِنْبَنَى عليها العمل الفني برمته.

- **أولاً: الزي النسوي ورمزية الحضور الاجتماعي**



برز "الحايك" في العمل كاختيار حتمي ذي دلالة واعية، متجاوزاً البعد الوظيفي ليصبح رمزاً للمقاومة الثقافية والستر والانتماء الحضاري. وقد وُفّق المخرج جعفر قاسم في رصد "بروتوكول الارتداء" بدقة أنثروبولوجية؛ حيث ميّز في التصميم البصري بين المرأة المتزوجة (الحايك مع العجار وتغطية الشعر) والفتاة الشابة (إظهار جزء من شعرها)، مما أعطى العمل واقعية تاريخية مذهلة. كما شكّل "العجار" عنصراً بصرياً جوهرياً يعزز الخصوصية النسوية داخل الفضاءات العامة كالأسواق والأزقة.

أما في الفضاءات الخاصة والاحتفالية، فقد عكس "القفطان الجزائري" و"الكراكو العاصمي" و"الغليلة" تراتبية المكانة الاجتماعية؛ حيث تداخلت خيوط "الفتلة" و"المجبود" مع أقمشة الحرير والمخمل لتؤكد على الأناقة الحضرية ورقي الذوق. وتكاملت هذه المشهدية مع "محرمة الفتول" كعنصر متمم للزي، يعكس التمسك بالتقاليد الجمالية المتوارثة.

ثانياً: الزي الرجالي ودلالات الوقار والمقاومة



على صعيد اللباس الرجالي، جسّد "البرنوس" معاني الهيبة والسيادة، وظهر في المسلسل كعلامة فارقة تختلف تفاصيلها باختلاف المكانة الاجتماعية (شيوخ، رجال مقاومة، حرفيون)، كما هي الحال في شخصيات "السي محمد" و"الخوجة". واقترن ذلك بـ "السروال المدور" (العربي) و"العمامة"، وهما عنصران يمثلان إرثاً مادياً يكرس قيم الشهامة والرجولة في المخيال الشعبي الجزائري.

أما "القشابية"، فقد وُظّفت كعنصر بصري مشحون بالدلالات النضالية، التي تربط الأمس باليوم، حيث ارتبطت في الذاكرة الجمعية بثورة نوفمبر 1954 وبفعل المقاومة ضد المستعمر، إذ كان يرتديها المجاهدون والمسبلون وأعوان الجيش. كما تضمن المسلسل إشارات أخرى تربط الماضي بالحاضر، مثل شخصية علي التي تشير – في رأينا – إلى الشهيد علي لابوانت الذي ارتبط تاريخه الجهادي بحي القصبة، وكذا شخصية الطفل عمر، الذي ارتبد ذكره بمسلسل "الحريق". عمر ابن لالة عيني ويومياتهما المأساوية في ظل الاستعمار. ومن خلال هذا الربط الفني الذكي بين أزمنة مختلفة، استطاع المخرج أن يجعل كل تلك المقاومات تصب في وعاء واحد، هو وعاء التحرر وتقرير المصير.

ثالثاً: الحلي والمجوهرات أرشيفًا ثقافيًا:





لم تغب الحلي عن الرؤية الإخراجية، حيث برز "خيط الروح" كأيقونة للأناقة العاصمية، يُصاغ بدقة تحاكي التطريز المعدني ليزين جبين المرأة في المناسبات الكبرى، دالاً على الأنوثة والوجاهة. وبالرغم من تمركز

الأحداث في "القصبة"، إلا أن المخرج أشار بذكاء إلى "الحلي الأمازيغية"، في إحالة سيميائية إلى وحدة التنوع الثقافي وتكامل عناصر التراث الوطني.

ومن الرموز التاريخية التي استعادها العمل، برزت "سلسلة عقدة الحب الجزائرية" التي تعود للقرن الثامن عشر؛ حيث ارتبطت تاريخياً برياس البحر كرمز للوفاء والعودة. إن توظيف هذه القطعة في مواقف متباينة بين الشخصيات (السي محمد وزهرة، وعلي وفاطمة) لم يكن مجرد حلية جمالية، بل كان استحضاراً لرمزية الحب المرتبط بالهوية والتاريخ الجزائري العريق.

2-الموروث الحرفي والثقافة المادية:

- **تمثلات الحياة اليومية**



شكّلت الحرف التقليدية في مسلسل "فاطمة" أحد أبرز تجليات الثقافة المادية التي توثق للحياة اليومية للمجتمع الجزائري في فترات تاريخية معينة. وقد برز "التطريز اليدوي" كعلامة هوياتية فارقة، خاصة في زخرفة الألبسة التقليدية كـ "الغليلة" و"الكراكو"، وهي أزياء تحمل دلالات ضاربة في عمق التاريخ الثقافي المتميز لمدينة الجزائر.

لقد تجاوز تجسيد شخصية "محمد" (والد فاطمة) كحرفي "طراز" حدود الدور الدرامي، ليتحول إلى رمز للحفاظ على استمرارية الهوية الثقافية؛ فمن خلال إتقانه للحرفة ونقل قواعدها الصارمة إلى جيل الأبناء وأهل الحي، جسّد العمل آليات "التنشئة الاجتماعية" القائمة على صون الذاكرة المهنية. كما وُفّق المخرج في إبراز الأدوات البسيطة المرتبطة بهذه الحرفة كـ "القرقاف"، بوصفه عنصراً مادياً لا يخلو منه بيت جزائري عتيق، مما أضفى طابعاً أنثروبولوجياً واقعياً على الفضاء المنزلي في "القصبة".

أما "الصناعات النحاسية" فلقد سجلت حضورها كعنصر محوري في بناء المشهدية البصرية، لتعكس عراقة التراث الحرفي للمدن الحواضر (كالقصبة وقسنطينة...). إن استحضار الأواني النحاسية — من "مهراس"

وصوانٍ ضخمة وأباريق منقوشة— في سياق المناسبات الاجتماعية والطقوس الاحتفالية، لم يقتصر على التأثيث الجمالي، بل جاء كإحالة سيميائية على قيم الضيافة والوجاهة الاجتماعية المرتبطة بالذاكرة الجمعية. هذا الاتصال بالثقافة المادية يقودنا بالضرورة إلى استنطاق "فن الطبخ" في العمل، حيث تزينت الموائد بأطباق أصيلة (كالكسكسي، والعيش/المردود، والبغرير) وحلويات تقليدية (كالتشاراك، والغريبية، والبقلاوة).

إن حضور هذه المأكولات في مشاهد الضيافة يمثل استعادة رمزية للذوق الثقافي الجزائري، ويؤكد على استمرارية العادات الغذائية كمركّب أساسي من مركّبات الهوية الوطنية التي قاومت الاندثار وحافظت على كينونتها عبر الأجيال.

- **ملامح الهوية الوطنية من خلال الموسيقى:**



شكّلت البنية الموسيقية في مسلسل "فاطمة" رافداً جوهرياً في استنطاق ملامح الهوية الثقافية؛ إذ استندت الرؤية اللحنية إلى إيقاعات مستوحاة من الموروث الشعبي والفلكلوري الجزائري، لا سيما تلك الأنماط المرتبطة – بالحفلات والأعراس وكذا بالطقوس النسوية والمناسبات الاجتماعية. وقد اعتمد العمل على توليفة نغمية تمزج بين "الطبوع التقليدية" — وعلى رأسها الطابع الأندلسي، والحوزي، والشعبي— وبين الموسيقى التصويرية الدرامية، مما خلق حالة من التماهي بين الفعل الدرامي وبيئته المحلية.

لقد ساهمت هذه الطبوع الموسيقية في إضفاء بُعد جمالي وأنطولوجي على العمل، حيث عملت كأداة لترسيخ الهوية الثقافية وتحقيق الانسجام الواقعي بين الأحداث والبيئة المكانية لحي "القصبة" العتيق، بمرجعياته التاريخية الضاربة في القدم. وتجاوز التوظيف الموسيقي مجرد التأثيث الصوتي لِيغدو عنصراً دلالياً يُجسد الخصوصية الحضارية للمجتمع الجزائري.

وفي هذا السياق، برز دور الآلات الموسيقية التقليدية كعلامات بصرية وسمعية دالة، وفي مقدمتها آلة "الكويترة" الوترية، التي تُعد ركيزة أساسية في موسيقى الآلة (الأندلسي) وجزءاً لا يتجزأ من الهوية الفنية للحواضر

الجزائرية العريقة كالعاصمة وتلمسان وقسنطينة... إن استحضار هذه الآلة في جلسات المناسبات الاجتماعية داخل المسلسل لم يكن مجرد استعراض فني، بل كان بمثابة استحضار للذاكرة الفنية وترسيخ للوعي بالهوية الوطنية في مواجهة الاغتراب الثقافي وما تشهده الساحة الفنية من أنغام غريبة دخيلة على الممارسات الفنية الوطنية.

- **ملامح الهوية من خلال العمارة:**



تُعد العناصر العمرانية التقليدية في مسلسل "فاطمة" أحد المرتكزات الجوهرية التي جسّدت ملامح الهوية الثقافية؛ إذ لم يكن الفضاء المعماري مجرد خلفية للأحداث، بل تحول إلى بنية دالة تعكس الخصوصية الوظيفية والاجتماعية للذات الجزائرية. فقد ساهمت الأنساق البصرية المتمثلة في الأزقة الضيقة والمتعرجة لحي "القصبة" العتيق، بتكويناتها الهندسية المعتمدة على المنازل ذات الأسطح المستوية والمتلاصقة والمهيمنة باللون الأبيض، في إبراز الهوية البصرية للمدينة الجزائرية القديمة وتجسيد نسيجها الحضري الفريد.

إضافة إلى ذلك، استعرض المسلسل، خلال جميع حلقاته، القصور ذات الطابع العثماني بخصائصها المعمارية الفارقة، مثل "الفناء الداخلي" (الوسطانية) وما يتوسطه من نوافير أو حدائق مصغرة، إضافة إلى توظيف الأقواس والوحدات الزخرفية الهندسية. كما شكّل البلاط المزخرف (الزليج) بنقوشه الدقيقة علامة فارقة تحيل إلى المرجعية الأندلسية–العثمانية المتجذرة في العمارة الجزائرية، مما أضفى عمقاً تاريخياً وجمالياً على المشهد الدرامي.

لقد جرى توظيف "العنصر المعماري" في مسلسل "فاطمة" أداةً سيميائيةً ساهمت في بناء فضاء درامي يحاكي الوقائع والأحداث التاريخية، مما سمح بتجسيد نمط العيش التقليدي لتلك الحقبة التاريخية وإبراز الخصوصية الحضارية للمدينة. وبناءً عليه، تحولت العمارة في هذا العمل من مجرد إطار مكاني إلى "علامة

بصرية" قوية تعمل على ترسيخ الذاكرة الثقافية في بنية الخطاب الدرامي، وتعزز الوعي بالامتداد التاريخي والانتماء الحضاري للهوية الوطنية لدى المتلقي.

خاتمة:

تأسيساً على ما تقدم، يُمكن القول إنّ مسلسل "فاطمة" قد شكّل فضاءً دراماياً ثرياً لاستنطاق ملامح الهوية الثقافية وتمثلاتها، حيث تقاطعت في بنيته السردية الأبعاد الاجتماعية والدينية والرمزية والتاريخية، لتُنتج في مجموعها صورة مركبة للذات الثقافية في المجتمع الجزائري. وقد نجحت الرؤية الإخراجية —من خلال توظيف الرموز البصرية وتكثيف الخطاب الدرامي— في رصد آليات تشكّل الهوية الوطنية، بوصفها نتاجاً للتفاعل الجدلي والتكامل بين الموروث التراثي والمتغيرات السوسيو–ثقافية المعاصرة.

بهذا المعنى، تجاوز العمل حدود السرد الدرامي التقليدي ليتحول إلى نص بصري قابل للتفكيك والتأويل، يعكس بدقة، التحولات العميقة التي طرأت على البنية الثقافية للمجتمع. كما كشفت الدراسة عن الدور المحوري للدراما التلفزيونية في استعادة الذاكرة الجماعية وإعادة إحياء العادات والموروث القيمي، مما يساهم في ترسيخ المرجعيات الدينية والاجتماعية في الوعي الجمعي.

وفي الختام، تجلّت القدرة التأثيرية للدراما في تعزيز الحس الوطني وتنمية وعي الأفراد بمرتكزات الهوية الوطنية؛ وذلك عبر تقديم مضامين فنية استحضرت القيم التاريخية والثقافية، مبرزةً أهمية الوعي المجتمعي في تكريس قيم المواطنة وصون الهوية الجزائرية من التلاشي أمام التحديات المعاصرة.

المراجع:

1. تركي الحمد. (1999). *الثقافة العربية في عصر العولمة: الطبعة الاولى*. دار الساقي، بيروت لبنان.
2. د. عبد العزيز حمودة. (1998). *البناء الدرامي*. الهيئة المصرية للكتاب. القاهرة، مصر.
3. د. محمد عمارة. (1999). *مخاطر العولمة على الهوية الثقافية: في التنوير الاسلامي 32* (الطبعة الاولى). دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر.
4. طارق سيد أحمد الخليفي. (2005). *فن الكتابة الإذاعية والتلفزيونية*. دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية، مصر.
5. محمد عابد الجابري. (1999). *العولمة والهوية الثقافية* (الطبعة الأولى، العدد 228). مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت، لبنان.

6. مروة محمود جمال الدين. (2015). *الدراما والمجتمع: قضايا الطفولة نموذجا* (الطبعة الاولى). دار الفكر العربي. مصر.

7. بولعباس عبد الرحمن. (2017). الهوية في السينما الجزائرية المعاصرة_ فيلم رشيدة. *مجلة أفاق سينمائية. محور قضايا السينما الجزائرية المعاصرة، المجلد 4*, 29–39.

8. عبد الله ربوط، عبد الرحمن علوش. (2025). توظيف التراث الشعبي في الدراما التلفزيونية للدفاع عن الهوية الوطنية – دراسة تحليلية على عينة من حلقات مسلسل الحريق. *مجلة آفاق سينمائية، المجلد 12 العدد 02*, 202–215.

9. نور الهدى عبادة. (2019). الهوية الثقافية الجزائرية والعولمة الإعلامية: المهددات وسبل الوقاية. *مجلة الاتصال والصحافة، المجلد 6 العدد 1*, 32–46.